

حياة سيدي الشيخ محمد الكبير ومكانته العلمية

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"• اسم ولقب المؤلف الأول: **الدكتورة حنان لطرش .**الدرجة العلمية والعنوان المهني: **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة-**البريد الإلكتروني: **atreche25hanene@gmail.com** .

تاريخ النشر: 2025. /07/14

تاريخ القبول: 2025/04/21

تاريخ الاستلام: 2025/04/20

ملخص: لعبت النخبة الجزائرية الدور البارز والفعال في مواجهة الاحتلال الفرنسي، وهو ما يتجلى في مجمل النشاطات التي قاموا بها، رغم تباينها واختلافها، وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التعرف على دور النخب المثقفة في مواجهة السياسة الاستعمارية في الجزائر بمختلف أشكالها وهذا من خلال التعريف بأحد العلماء الجزائريون الذي واجه فرنسا بعلمه وأخلاقه، باعتبار ان النخب الدينية تشمل صفوة المشتغلين بالدين تعليما وتديسا ووعظا وارشادا وممارسة وتطبيقا، فيندرج منها الدعاة والفقهاء والائمة والخطباء والزهاد والمتصوفة وسائر المشتغلين بالعلوم الدينية، شرط أن يكون لهم في مجتمعهم مكان بارز ومقام مؤثر ونفوذ معنوي واسع وقد ينطبق هذا المفهوم على محمد الكبير بالجزائر لثقل المسؤولية الملقاة على عاتق النخب المثقفة .

خاصة مسيرة هذه الشخصيات ومواقفهم ومؤثراتهم، ومساهمتها في تاريخ الجزائر لذلك ارتأيت أن أتحدث ان البحث في التراجم والشخصيات من الموضوعات المهمة التي تتطلب البحث والدراسة، من أجل معرفة عن رائد من رواد المقاومة الثقافية في الجزائر للسياسة التعليمية الفرنسية، وذلك من خلال

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

وذلك من خلال الاطلاع على أطوار حياته لما له من نشاطات ومواقف بقيت خالدة في تاريخ الجزائر، طرح الاشكاليات التالية: من هو محمد الكبير؟ وكيف كانت مواقفه من السياسة الاستعمارية؟
الكلمات المفتاحية: العلماء - السياسة الاستعمارية الفرنسية - محمد الكبير - المقاومة الثقافية.

Abstract: he Algerian elite played a prominent and effective role in confronting French colonialism, reflected in the variety of activities they undertook, despite their differences and diversity. This research paper aims to explore the role of the educated elite in resisting colonial policies in Algeria in all their forms. This will be done by presenting the example of one of the Algerian scholars who stood against France with his knowledge and moral values.

Religious elites are considered to include the distinguished individuals engaged in religious teaching, preaching, guidance, practice, and implementation. This category includes preachers, jurists, imams, orators, ascetics, Sufis, and all those involved in religious sciences, provided they hold a prominent and influential position in their communities and enjoy widespread moral authority. This concept may well apply to Mohamed El-Kebir in Algeria, given the heavy responsibility borne by the intellectual elite the lives, positions, and influences of prominent historical figures, as well as their contributions to Algeria's history, represent important subjects that warrant thorough research and study. This paper aims to explore one of the pioneers of cultural resistance in Algeria against the French colonial educational policy. Through examining the stages of his life, we seek to highlight his enduring actions and stances that have left a lasting mark on Algerian history. This study revolves around the following key questions: Who was Mohamed El Kebir? And what were his positions on the colonial policy?

Keywords: Scholars – French colonial policy – Mohamed El Kebir – Cultural resistance.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين هدى من شاء من عباده إلى إتباع الصراط المستقيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فان العلماء ورثة الأنبياء وهم نبراس الكون الذين ستضاء بهم الحياة لذلك من حق سلف الأمة إبراز أثر الخلف ومآثرهم حتى تتواصل الأجيال في حلقات متواصلة من غير انفصام؛ ويعتبر سيدي محمد بن الكبير رحمه الله من أبرز أعلام الأمة الإسلامية بأرض الجزائر في القرن 20 عالم توات والجزائر، لذلك خصصنا له هذه الدراسة تحت عنوان حياة محمد الكبير ومكانته العلمية.

أولا- حياة الشيخ سيدي محمد الكبير:

1. نسبه ومولده: هو العلامة الفقيه الزاهد الصوفي سيدي أبو عبد الله محمد بن سيدي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الكبير بن الشيخ سيدي الحاج عبد الله الغامري ؛ دفين قرية الغمارة ويرجع نسبه الى الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان- رضي الله عنه-وبن جده سيدي عبد الكبير والشيخ سيدي عبد الله الغماري¹.

¹ - من مقابلة قام بها مع الشيخ سيدي الكبير مساء الثلاثاء 5 جويلية 2011، نقلا عن محمد عبد الحق بكراري، المنهج

الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، رسالة دكتوراء في العلم الاسلامية تخصص فقه وأصول، تحت اشراف أ.د. سعيد فكية، جامعة باتنة، 2016-2017، ص 49.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

ترعرع في كنف عائلة محافظة اشتهرت بحمل كتاب الله والورع، والده هو سيدي محمد عبد الله بن الكبير الحافظ لكتاب الله ووالدته هي السيدة مبروكة بنت سيدي المهدي رحموني، ولد في الغمارة (قرية من قرى بودة؛ الواقعة في الجنوب الغربي لمدينة أدرار على بعد 25 كلم) حوالي عام 1329هـ/1911م¹.

2. نشأته:

نشأ الشيخ على الأخلاق الحسنة في ظل والديه، ثم شاءت الأقدار أن ترحل أمه إلى دار الآخرة²، وهو صغير السن فتربى مع والده على اكتساب مكارم الأخلاق وحب القرآن كما ان علاقته مع والده كانت وطيدة؛ حيث كانا يتبادلان الآراء ويتلوان القرآن معا إضافة للاشتراك في عمل البستان وقد قال الشيخ عن نفسه: "كنت مع الوالد نسقي الجنان وأكتب لوحى وأحفظها كل هذا والشمس لم تطلع ثم نأتى الى المنزل لشرب الحريرة والشاي"³

ولما ناهز الحلم تزوج والده مرثا أخرى من سيدة تدعى السيدة حموية غانم ليرزق منها بثلاث أطفال ولد اسمه علي بركة الله عبد القادر⁴؛ وبنتين هما مستورة وعائشة.

نشأ الشيخ مقبلا على طلب العلم وتحصيله فتلقى مبادئ العلوم بمسجد القرية بالغمارة على يد إمام المسجد الشيخ محمد بن عبد الرحمان وسنه لا يتجاوز الخامسة؛ وساعده على ذلك نشأته في أسرة محبة للعلم حيث

¹ - مولاي التهامي غيتاوي، الضوء المستنير في معرفة سيدي محمد الكبير، الشركة الوطنية للنشر والاشهار، روية 1428هـ/2007م، ص10.

² - لا يعرف تاريخ وفاتها.

³ - محمد الطاهر بن اتواي، شيخنا الامام كما عرفته لازالت مسودة لم تطبع، نقلا عن محمد عبد الحق بكاروي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص..50.

⁴ - ولد سنة 1343هـ/1925م وتوفي بأدرار سنة 1425هـ/2005م.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

كان والده من حملة كتاب الله، حفظ القرآن الكريم على يد الطالب عبد الله مدرس القرية ثم بدأ بأخذ مبادئ الفقه والدين على يد عمه وحفظ كذلك متون الفقه والنحو والعقيدة وغيرها كثير وكل ذلك في سن مبكرة¹.

3. زواجه ودرسته:

تزوج بنت خالته السيدة الزهراء مدياني توفيت سنة 1400هـ/1980م ؛وأبناؤه هم فاطمة وخديجة وسيدي محمد عبد الله²، كما تزوج الشيخ مرة ثانية بعد زوجته السابقة من السيدة نانة بنت باحمو ورزق منها بابن رابع هو سيدي أحمد³.

4. وفاته:

كان رحمه الله فريدا في الجد والاجتهاد في تعليم كتاب الله ونشر شريعته بين الناس وقد قضى أزيد من 60عام في نشر العلم وتنوير العقول من رواسب الشكوك والأوهام ؛بالأدلة والبراهين حتى أعجزه المرض وتوفي في صبيحة الجمعة 16جمادي الثاني 1421هـ/15سبتمبر 2000م وعمره يناهز 89سنة،وقد صلي عليه يوم السبت نجله الأكبر سيدي محمد عبد الله وتلميذه الأوفى الشيخ سيدي الحاج سالم بن إبراهيم حضر

¹ -سالم بن ابراهيم،مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي،ألقيت المداخلة في الملتقى الوطني الاول للشيخ سيدي محمد الكبير المنعقد في أدرار بتاريخ 11/10رجب 1431هـ/23-24جوان 2010م.

² -ولد سنة 1379هـ/1959م قرأالقران على الشيخ سيدي الحاج عبد الكريم مخلوفي ،كما تيسر له دراسة بعض العلوم الشرعية والعربية من والده،متزوج وهو المتولي زمام المدرسة بعد أبيه

³ -ولد سنة 1400هـ/1980م قرأ القران بمدرسة أبيه على يد الشيخ سيدي الحاج عبد الكريم مخلوفي وكذلك مبادئ الشريعة واللغة ،ولما أدرك والده المرض به أرسله عبد العزيز بوتفليقة في بغثة للأزهر ليتم دراسته.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

جنازته الآلاف من الأشخاص ومن تلامذته ؛ومن أهم الحضور كان رئيس الجمهورية آنذاك عبد العزيز بوتفليقة¹. وبهذا فقدت الجزائر أحد أعلامها الافداد .

ثانيا-مراحل تعليمه:

1. مرحلة الطفولة:

بدأ الشيخ تعليمه مند صباه؛دخل الكتاب وتعلم القرآن على يد الطالب محمد بن عبد الرحمان طالبي التمنيطي وعمه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير امام القرية كما سبق وذكرنا ،فحفظ القرآن وهو صغير كما تعلم مبادئ التوحيد الفقه واللغة على يد عمه ،وقد استفاد من خاله سيدي محمد بن المهدي رحموني الفقيه الصوفي².

2. مرحلة شبابه:

وقد زاد اهتمامه بالعلم بعد أن بلغ مرحلة الشباب ، فأرسله أبوه لإحدى حواضر العلم في توات آنذاك تمنطيط شريطة أن لا يزيد عن سنة ليشارك بعمله في تكاليف أسرته لأنه لم يكن من الأغنياء، وقد صحبه في رحلته إلى تمنطيط خاله سيدي محمد بن المهدي رحموني ولشيخ سيدي الكبير بن محمد بن

¹ -عبد الحميد بكري ،النبتة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 هـ الى القرن14هـ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة الجزائر 2005،ص 87،و محمد عبد الحق بكاوي،المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير،رسالة دكتوراء في العلم الاسلامية تخصص فقه وأصول،تحت اشراف أ.د سعيد فكرة،جامعة باتنة، 2016-2017،ص 51.

² - مولاي التهامي غيتاوي،الاشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي بن الكبير رحمه الله، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار 1423هـ/2002م،ص،ص 11، 12.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

الكبير حسوني¹، والسيد الطلب عبد الله بن المبروك زقورة² فذهبوا إلى مدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي وكان منبعاً من منابع العلم في إقليم توات ومما يروي عن سبب اختيار سيدي محمد عبد الله بن محمد بن لكبير لمدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي لولده دون سواها من المدارس، لأنه كانت له صداقة مع أحد أقاربه³، الشيخ سيدي أحمد ديدي حيث عندما التقى معه في أحد أسفاره تحدثوا عن العلم ومكانة العلماء وذكروا مدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي بتمنيط وما فيها من فنون العلم فعرض عليه سيدي عبد الله أن يأتي بولده إلى تمنيط⁴، وبعد مدة أرسل ولده إلى مدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي حيث تلقى فيها العلوم الشرعية وعلم الشريعة والسلوك على يد شيخه سيدي أحمد رحمه الله، وبعد مرور سنة كاملة قضاها في جد واجتهاد قرأ فيها بعض الفنون والمتون رجع الشيخ إلى والده وبقي له مختصر خليل وهو عمدة الفقه المالكي في توات فطلب من والده أن يعاود لستين ليكمل دراسته حتى يكمل المختصر ويرجع ب زاد من العلم فوافق أبوه على طلبه⁵، وقد تميز بحسن الأدب والتواضع وكمال الجد والاجتهاد في طلب العلم؛ وقد اكتسب الشيخ محمد الكبير حب شيخه أحمد ديدي وأتم دراسته بعد 3 سنوات⁶، أوقف أخذ عن الشيخ علوم الشريعة والعربية وفن التوحيد والفقه والحديث والتصوف وتفسير القرآن والآداب والنحو وغيرها، واتصل خلال هذه

¹ - الشيخ سيدي محمد الكبير بن محمد حسوني: من سلالة سيدي أحمد بن موسى كان قاطناً ببودة تولى مشيخة الطريقة الكرزائية توفي 1416هـ/1995م.

² - كان معلماً للقرآن ببودة لا يعرف تاريخ ميلاده ووفاته، عبد الحميد بكري، النبعة في تاريخ توات وأعلامها، المرجع السابق، ص 50.

³ - انه سيدي محمد بن عبد الجليل بكري يلتقي مع الشيخ أحمد ديدي في العلامة سيدي عبد الكريم الحاجب التمنيطي
⁴ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 96، ص 95.

⁵ - بن مولاي التهامي غيتاوي، الاشراف الكبير في ذكر جملة من فضائل وماثر ومواقف وكرامات الشيخ محمد سيدي بن الكبير رحمه الله، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار 2002م، ص 12، 11.

⁶ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص 245

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

الفترة بالكثير من بأعلام توات المعاصرين لشيخه يستفيد من معارفهم ويتباحث معهم في المشكلات العلمية التي لا يتمكن من مراجعة شيخه فيها وكان على دراية واسعة بالنوازل والفتاوى التي وقعت في إقليم توات¹ وبعد انقضاء ثلاث سنوات قدم والده إلى الشيخ ليعيده حتى يعينه على متاعب الحياة، فاخبر الشيخ سيدي محمد الكبير والده أنه ما قرأ شيئاً بعد فقال له شيخه "ما قرأته فقد قرأته ومالم تقرأه سيفتح الله لك فيه" فرجع مع والده².

3-رحلاته

أ- رحلته الى تلمسان

رحل الشيخ محمد الكبير نحو تلمسان منبث الحضارة ومقصد العلماء فتحه نحوها سنة 1935م رغبة في التزود بالعلم ومجالسة العلماء ، بعد أن إستأذن شيخه الشيخ سيدي أحمد ديدي بالذهاب للقاء الشيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرحمن شيخ الطريقة الكرزازية القاطن آنذاك بتلمسانوما وصلها قصد الشيخ أبو فلجة بن عبد الرحمان³؛ شيخ الطريقة الموسوية وكان قد بقي من نفقة سفره 4 دورو فأهداه إياه وأخذ فن

¹-مولاي التهامي غيتاوي ،سلسلة النواة في ابراز الشخصيات من العلماء وصالحي اقليم توات ،ط2005، منشورات المطبعة الحديثة للفنون المطبعية،الجزائر، ص، ص 14، 15، أحمد ابا الصافي جعفري ،"حياة الحاج محمد بن الكبي"ر،مجلة النخلة،العدد1،مارس 2006م،ص16.

² - أحمد ابا الصافي جعفري،"حياة الحاج محمد بن الكبير"،المرجع نفسه،ص16.

³-الشيخ سيدي أبو فلجة بن عبد الرحمان بن الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي فقيه عالم لا يعرف تاريخ ميلاده تولى مشيخة الطريقة الموسوية سنة 1340هـ،رحل الى الشيخ سيدي محمد بن الكبير الى تلمسان وأخذ عنه أوراد الطريقة كما استفاد من علمه ومعارفه توفي سنة 1355هـ/1936م،مولاي التهامي غيتاوي،الاشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل و مآثر ومواقف وكرامات الشيخ محمد سيدي بن الكبير ورحمه الله، المؤسسة الوطنية للاتصالوالنشر والاشهار2002م،ص93.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

الطريقة الموسوية وهي فرع من الطريقة القادرية، حيث أخذ عنه أورد الطريقة و تدارس معه بعض مسائل الفقه ومختصر خليل ؛ كما له إتصال أيضا بعلماء تلمسان المعاصرين له وأثناء تواجده هناك درس القرآن لأهالي العرشية¹، وقد بقي هناك قرابة 5 سنوات واستفاد الكثير من علمه وتخرج العديد من الطلبة من تولوا وظيفة الإمامة وتعليم القرآن في المشربة وضواحيها ، وبعد مرض والده طلب منه العودة حوالي سنة 1924م الموافق 1361هـ.

ب- رحلته الى تيميمون:

بعد رجوعه إلى الغمارة ببودة استقر بها ملازما والده بالرعاية ؛وقام بالتدريس والتعليم في قريته وشاع أمره عند أهل تيميمون فقصده أعيانها ليذهب إليهم فقبل طلبهم سنة 1364هـ الموافق 1943م أعدوله مدرسة ليعلّم بها فانتقل بها وبقي 5 سنوات ،وقد توافد عليه طلبة تيميمون وأخذوا عنه تعليم القرآن والعلوم الشرعية والعربية بالطريقة المعهودة، كما اهتم بالتجار باعتبارهم يمثلون اقتصاد المجتمع لذلك رأى أنه من الضروري أن يكونوا على دراية بأحكام البيوع وفق ما شرعه الله لعباده فيحضرّون درسه ضحوة ثم يذهبون للبيع، وقد تزامن وجوده في تيميمون مع فترة الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات كان النظام الضريبي يحارب كل ماله علاقة بالإسلام والتعليم الإسلامي، لذلك ضيّقت السلطات الاستعمارية على الشيخ وأغلقت المدرسة من طرف الاحتلال وكانت حجتها في ذلك بأن أحد طلبة الشيخ ؛ وهو الطالب صديق قام بمعاقبة أحد التلاميذ ضربا ترك أثرا وهذا الأخير كان يدرس بإحدى المدارس النظامية الفرنسية وقد لاحظت المعلمة الأثر في حصة الرياضة؛ فأخبرت السلطات بذلك فكانت الحجة التي يبحثون عنها لغلق المدرسة ،غير أن وجهاء وأعيان تيميمون وعدوا الشيخ بالوقوف إلى جانبه غير أنهم بمجرد مثولهم أمام الضابط الفرنسي سكت الكثير

¹ -ضاحية من ضواحي المشربة بولاية النعامة.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

منهم وتراجع عن موقفه؛ فأقسم الشيخ أن لا يسكن ببلد يهان به أهل العلم ويترج بهم في السجون ورجع الشيخ إلى بودة أواخر 1984 الموافق 1368 هـ وعاد لتعليم بها¹.

ج-رحلته إلى أدرار

بعد سنتين من رجوعه، فكر سكان أدرار ببناء مدرسة إلى جانب المسجد الكبير بوسط المدينة تكون عوضا عن مدرسة تيميمون وقد اشترط عليهم أن يوافق شيخه سيدي أحمد على ذلك، ورحب هذا الأخير بطلبهم وكان ذلك في 1370 هـ الموافق 1950 م وانتقل الشيخ إلى الجامع الكبير حيث تولى الإمامة والخطابة و تعليم القرآن وافتتح المدرسة وكان من أوائل طلبتها الحاج عبد القادر بن الكبير²، والشيخ سيدي الحاج سالم بن ابراهيم³، اللذان كانا معه في مدرسة تيميمون وقد ابتدأت مرحلة جديدة في حياته بمدرسة أدرار تحت منظار الحكم العسكري الفرنسي، وقد فتح المدرسة وهو لا يملك مصدر لتمويلها إلا ما يوجد به المحسنين من أعيان المدينة الذين ساعدوه⁴.

¹ - محمد عبد الحق بكراري، الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط بخزائنه بالمنيعه، نقلا محمد عبد الحق بكراري، مرجع سابق، ص 76

² - تولى الإمامة وتعليم القرآن بمدينة تيميمون وكان من أحد أعيان المدينة.

³ - ولد بتيميمون سنة 1345 هـ/1927 م تعلم القرآن في الكتاب ثم التحق بمدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير بتيميمون فاستكمل عنده حفظ القرآن ودرس عليه العلوم الشرعية واللغوية، عبد الحميد بكري، النبدة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص، ص. 203، 204.

⁴ - الرجل الفاضل الحاج أحمد كابويا كما أعمره بستانا مدة الحياة ليكون مصدر رزقه له ولطلبته في السبعينات من القرن الماضي ورد الشيخ ذلك البستان لابنائه، محمد عبد الحق بكراري، المرجع السابق، ص 79

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

كما خصص له أحد الأعيان غرفة في مسكنه يقيم بها وهذا قبل بناء مسكن الشيخ وقد قام بوظيفة التعليم والإمامة وكان كلما فتح الله عليه برزق اشترى بستانا فيعمل به هو وطلبته لتوفير رزقهم واستمر على تلك الحال حتى اشترى بساتين كانت هي مصدر الرزق له ولطلبته، إضافة إلى وقف المسجد وإلى ما يوجد به المحسنون كما ذكرنا أنفاً؛ وبذلك حقق للمدرسة الاستقرار والبقاء ولا يلزمون بدفع الرسومات و لا النفقات إلا من إعانات أهله ومساعدته طوعية، وفي البداية لم يتجاوز عدد الطلبة عشر لظروف العسيرة خلال فترة الاحتلال؛ ولكن رغم تضيق المستعمر إلا أن المدرسة استمرت في استقبال الطلبة بسبب النظام الداخلي والتسيير المحكم وقد استمرت حتى بعد الاستقلال ووصل عدد طلبتها حوالي 1200 طالب في عشرية التسعينات¹.

ثالثاً - شيوخه:

تتلمذ على يد شيوخ كثر؛ ففي طفولته تتلمذ على يد أبوه سيدي محمد عبد الله بن محمد بن الكبير رحمه الله توفي 1366هـ/1947م²، كذلك عمه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد بن الكبير كان من أهل العلم تولى الإمامة وتعلم القرآن بالقرية لا يعرف تاريخ ميلاده توفي سنة 1365هـ/1964م. كذلك الطالب محمد بن عبد الرحمان طالبي التمنيطي كان قائماً بتعليم الصبيان القرآن بالقرية تتلمذ على يده الشيخ سيدي محمد الكبير القرآن بالطريقة التقليدية، فحفظ القرآن في سن مبكرة وأم الناس في صلاة التراويح رغم حداثة سنه فأعجب به الناس ومنهم عمه لحسن حفظه وذكائه³.

¹ - محمد عبد الحق بكرابي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، مرجع سابق، ص 80.

² - أحمد بن صافي جعفري، حياة الحاج محمد بن الكبير، مجلة النخلة، العدد الأول مارس 1427هـ/2006م، ص، 16.

³ - محمد الطاهر بن تواتي، شيخنا الامام كما عرفته، لازال في مسودة لم يطبع، ص، 16، نقلاً عن محمد عبد الحق بكرابي، المرجع السابق، ص، 58.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

- أما في مرحلة شبابه فقد كان من ابرز شيوخه هو سيدي أحمد بن محمد العالم الملقب بسيدي محمد الجزولي بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الحاجب بن سيدي محمد الصالح بن العلامة سيدي محمد الكبير من عالم توات، سيدي عبد الكريم بن محمد التمنيطي¹؛ وقد كان سيدي محمد الكبير رحمه الله إذا ذكر شيخه سيدي أحمد ديدي ذكره بصيغة التعظيم والتقدير ويقول "كل ما أنا فيه من الخير فيرجع الفضل فيه إلى شيخي، وكان يخص بعد عصر الأربعاء من كل أسبوع مع تلاميذته لقراءة القرآن واهذاء ثواب ذلك لروح شيخه"²
- وكان رحمه الله على جانب واسع من العلم والذكاء والطموح لنيل المعارف فأورثه ذلك علاقة حسنة مع أهل العلم والمعرفة في عصره فكان يسعى إليهم أخذًا للمعارف منهم.
- العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق الفقيه العالم واللغوي البارع وكان الشيخ يقول عنه "الذي يعتبر عالماً بحق في توات هو سيدي محمد بن عبد الكريم"³
- الشيخ الفقيه سيدي عبد الكريم بن محمد بن سيدي الحاج محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الممالك البلبالي ولد في تامر 1871م⁴
- المهداوي كان الشيخ سيدي محمد بن الكبير يزوره ويبحث معه المسائل العلمية وكان دائم الذكر له بعد موته توفي سنة 1375هـ/1955م⁵.

¹ - مولاي التهامي غيتاوي، مرجع سابق، ص15

² - سيدي أحمد بن المأمون البلغي، الانتهاج في سرح السراج، مطبعة حضر محمد أفندي مصطفى 1319 هـ/1901م، ص132.

³ - محمد عبد الحق بكراوي، مرجع سابق، ص61

⁴ - عبد العزيز سيدي احمد المهداوي، قطف الزهرات من أخبار العلماء توات، طبع مطبعة دار هومة 1422هـ/2001م، ص-ص 29-42

⁵ - عبد العزيز سيدي احمد المهداوي، قطف الزهرات من أخبار العلماء توات، طبع مطبعة دار هومة 1422هـ/2001م، ص-ص 29-42.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

- الشيخ سيدي بوعلام بن محمد البلباني الفقيه العالم كان عضواً في مجلس القضاء والافتاء ولد بملوكة سنة 1300هـ/1882م وقد تخرج على يديه عدد من الائمة والفقهاء وكان الشيخ سيدي محمد الكبير يتباحث معه الكثير من المسائل العلمية¹.

رابعاً- تلامذته:

إشتغل بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقه والتوحيد بالعريشة ثم المشربة، حيث طلب منه والده في أواخر الأربعينيات العودة إلى مسقط رأسه ببودة، ثم إنتقل إلى تيميمون، وأسس مدرسة بها ليعود مرة أخرى إلى بودة حيث شرع بالتعليم والتدريس بمنزله.

تخرج على يد الشيخ مئات من الطلبة وكان بعضهم من النجباء الذين قرروا تأسيس مدارس خاصة بهم وذلك لإيصال رسالة شيخهم، نذكر منهم الشيخ عبد الكريم مخلوفي و الشيخ الحاج سالم بن إبراهيم الإمام الخطيب بالجامع الكبير وعضو المجلس الإسلامي الأعلى، الشيخ سيدي الحاج حسان الانزجميري، الشيخ الحاج عبد القادر بكرراوي، الشيخ عبد الكبير بلكبير، الشيخ عبد الله عزيزي، الشيخ مولاي التهامي غيتاوي عضو المجلس الإسلامي الأعلى، الشيخ الحاج احمد المغيلي، الشيخ مولاي عبد الله طاهري، الشيخ محمد بوقندي بتسايت أدرار، الشيخ اوكاڊوا الصالح بأوقروت و الشيخ الحاج احمد المكي .

وقد أقبل عليه طلاب العلم من كل جهات لوطن بل ومن خارجه وقد بلغ عدد الطلبة في مدرسته بعد الاستقلال حوالي 1200 طالب².

¹ - الشيخ سيدي عبد الرحمان بن الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب البلباني ولد بكوسام 1280هـ/1864م، أخذ عن ابنه الشيخ سيدي عبد الله وخلفه في التدريس بعد موته تولى القضاء سنة 1330هـ/1911م أخذ عنه الكثير من الشيوخ...، محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 35.

² - محمد عبد الحق بكرراوي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، مرجع سابق، ص 66.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

من بين أهم الطلبة الذين تتلمذوا في مدرسة الشيخ سيدي محمد الكبير؛ الشيخ سيدي محمد عبد الكريم الفقيه الحاج محمد بن عبد الكبير ولد بالمشرية بتاريخ 12 ربيع الثاني 1340هـ/1921م¹

- الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي أحمد بن عبد الرحمان بكرأوي؛ فقيه واد من نخوي ولد بنو مناس سنة 1350هـ/1931م؛ وقد درس عند الشيخ أمهات العلوم الشرعية واللغوية وعلم السلوك وقد قال عنه شيخه سيدي محمد بن الكبير "لا يوجد بتوات أعلم بالنوازل منه" توفي في 22 جمادى الأولى 1429هـ/2008/5/82م².

- الشيخ الفقيه الصوفي الحاج سالم بن إبراهيم ولد تيمون سنة 1345هـ/1927م تعلم القرآن بالكتاب والتحق بمدرسة الشيخ سيدي محمد الكبير بتيميمون فاستكمل عنده حفظ القرآن والعلوم الشرعية واللغوية، وبعد رحيل الشيخ إلى أدرار رحل إليه واستكمل دراسته، ثم بدأ حياته العلمية بالتدريس بمسجد الجيلالي بأدرار ومدرسته، ثم عين مديرا للشؤون الدينية بولاية أدرار إلى أن تقاعد من الوظيفة، وقد خلف الشيخ سيدي محمد الكبير بأدرار مدة من الزمن تخرج على يديه مجموعة من المعلمين والأئمة³.

خامسا - مكانته وفضله:

كان أنموذجا فذا في الإخلاص لله تعالى، بحرا في العلم وموسوعة في الأخلاق، تربع على علم الأدب والمعاملات، وعرف كيف يستميل القلوب وكيف يوجهها للتربية المبنية على حب الله ورسوله والإنتاج المثمر للعقول السليمة.

¹ - سيدي عبد القادر عبد الحميد بكري، *حياتي باختصار*، مرجع سابق، ص 204، 203.

² - سيدي عبد القادر عبد الحميد بكري، *المرجع نفسه*، ص 204.

³ - محمد حسوني، *محاضرة بعنوان سيدي محمد الكبير الفقيه*، ألقى بتدار الثقافة بأدرار، بمناسبة الذكرى العاشرة

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

فقد ربي نماذج من الأعلام ومن الأجيال التي تمكنت فضل الله من الرسوخ العلمي والفكري، وساهم في تفعيل الذهب المالكى وترسيخه وترجم الطريقة الصوفية بعمله وزهده وورعه، ولم يتوان في خدمة الشريعة بكيفية مرنة لا غلو فيها ولا تطرف ولا تشدد.

لقد داع صيته وانتشرت أخباره فأغلب المتولين إمامة المساجد والتعليم القرآني بالجزائر كلها ممن تتلمذ عليه مباشرة أو بواسطة فهو عالم وقته بلا منازع حيث انفرد بوصف الشيخ والفقير¹، وقد شهد له زملائه بالدراسة بذلك حيث مدحه الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى² بما يلي:

محمد بن الكبير جره فلا	زال فدا بالحسنى يتخلق
شماله أخطاها يتواضع	وفي طبعه السخاء جود محقق
إذا نضر الضيوف بيدي ببشاشة	وهذا بلا إنكار قول مصدق
بفضل التقى نال العبقري عبقرينا	كدا بالقرآن حبذا ذلك الرونق
تأمل بكر واستبشر بفراصة	لترى نورا من وجهه يتألق

¹ - محمد حسوني، محاضرة بعنوان سيدي محمد الكبير الفقيه، ألفت بدار الثقافة بأدرار، بمناسبة الذكرى العاشرة .

² - الشيخ سيدي محمد المصطفى، الفقيه الاديب الشاعر ولد سنة 1895م ولد بمدينة متليلي بالجنوب الجزائري وتلقى تعليمه على الشيخ مولاي عبد السلام ومحمد عبد الله الالوسي العلوي الشنقيطي والطالب بابا بتقوت، كما درس بالزيتونة وتولى منصب القضاء وتخلّى عنه لمضايقة المستعمر الفرنسي واشتغل بالآخرة وقد وافته المنية بورقلة الاثنين 26 ربيع الثاني 1404هـ الموافق 30 جانفي 1948م، محمد طاهر بن توات، شيخنا الامام كما عرفته، لازال في مسودة..، ص، ص83، 82. ، نقلا عن الرسالة محمد عبد الحق بكراري، المنهج الفقهي عند سيدي محمد الكبير، ص. 72.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

لقد وفقه الله منذ نعومة أظفاره أن يشتغل بطلب العلم شملت عناية الله لمحاربة الجهل الذي كانت تعاني منه الأمة بسبب الاستعمار الفرنسي الغاشم، فقد فتح الله عليه فتحة مبينا فكان الطالب المجتهد المثابر على اقتناص العلم، ويسرت عليه ذاكرته القوية استيعاب مجمل فنون المعرفة؛ والتشرب من دقائق العلوم و ففهم جزئياته، وكان ملما بتفاصيله الدقيقة وفروعه الواسعة، و تلك منقبة أخرى من مناقبه، ففي مراحل عمره الأولى وفي عز شبابه تربى في كنف العلم وتحت رعاية شيخ عرف بكرامات شتى، ونلك عناية الله بالشيخ سيدي محمد بن الكبير .

وقد مكّنه الله من بسطة في العلم نتيجة جهده و كده، وأصبح بعد تخرجه منها عالما حكيما ومربيا وخبيراً، توجه إلى بادية المشرية فعلم بها مدة، سافر بعدها إلى تلمسان حيث كان هناك عالم رباني من العلماء الأجلاء وهو الكرزازي السيد بوفلجة، واستفاد من بحر علمه و فيوضات أسرارهِ، وأصبح طبيباً ماهراً في معالجة النفوس ومعرفة دوائها و دوائها، ولتقدم أبيه في السن قفل عائداً إلى مسقط رأسه بودة بزد علمي، وبنظرة ثاقبة للحياة وبتجربة جديدة، وأصبح في مرحلة العطاء، وشعر في قرارة نفسه أنه يجب عليه أن ينشر ما يحمل في صدره بوازع الأمانة العلمية والفكرية التي يحملها.

فتح الشيخ مدرسته في أدرار وكانت باكورة لأعمال أخرى جليّة. وتعد هذه البداية بأدرار بداية لطريق طويل وهام في حياة الشيخ ومنقبة من المناقب الكبرى له، فقد أثمرت مدرسته وأينعت وأثمرت ولا تزال؛ وظهرت نتائجها واجتمع في رحابها طلاب العلم من كل حذب وصوب.

وهكذا فأن هذه المدرسة وأثرها تجاوز مربع إقليم توات وضواحيها، بفضل جهود الشيخ وبركته وتفانيه وفوق هذا بفضل نيته الصادقة وإخلاصه لرب العالمين، وأصبحت تحفو إليها الأفئدة، وتشد إليها الرحال، وهذه المدرسة بفضل الله قد انبعثت عنها مدارس ماثلة لها ببركة الشيخ، وفتح العديد منها بإشارة منه في حياته . لقد اقتفى آثار شيخه في نشر العلم وتعليم الناس ما يفيدهم في العاجل والآجل، وجند لذلك نفسه وجهده وماله، وما كان يملك من عقار، وكان يردد دائماً بملء فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كانت

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً جرعة ماء. ويقول على رأس الملاء : طالب العلم تكفل الله برزقه . وما اعتبر الأوراق المالية مالاً إلا في باب الزكاة.

كما أن مدرسته ومنزله بكافة مرافقهما كانت مأوى لعابري السبيل، يلتقي فيها القاصي والداني، ولم يتأفف في يوم ما من استقبال أحد ولا أغلق بابه في وجه قاصد، وإنما كان يستقبل الناس بالبشاشة والترحاب وسعة الصدر، وكثيراً ما كان يواسي الفقراء والمحتاجين ومن تقطعت بهم السبل، ويبحث أحياناً للعاجزين من هؤلاء بالمال والمؤن ووسائل العيش.

من أهم ما تميز به الشيخ سيدي محمد الكبير أنه أوقف حياته على العلم تعلماً وتعليماً وإفادة واستفادة وخرّج بفضل الله الآلاف من الطلبة هم الآن يؤطرون القطاع الديني عبر الوطن وخارجه، بصفتهم أئمة وخطباء ومرشدين ودعاة لا أدعياء للعلم.

تمسك الشيخ بالمذهب المالكي حتى النخاع وكان يردد المقولة الذهبية الواردة عن الإمام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد ترندق ومن جمع بينهما فقد تحقق.

- تمكنه في فترة وجيزة أن يضيفي على المنطقة توات سمعة متميزة بفضل علمه وعمله ، وجعل لمدرسته طابعاً خاصاً متميزاً في الهدام والسلوك والتقوى: ولباس التقوى ذاك خير¹.

ورغم المكانة العلمية التي تميز بها الشيخ إلا أنه لم يترك لنا تأليف بل تأليف أصحابه الذين أعدهم لأداء الأمانة وتبليغ الرسالة وقد جمعوا بين المعرفة الصحيحة والسلوك الحسن فالشيخ رحمه الله لم يكن يسعى ليخلف ثروة مكتوبة ولكن سعى ليخلف ثروة سلوكية هائلة في المنهجية التربوية والتعليمية المتداولة من تلامذته ومعاصريه.

¹ - الشيخ الحاج سالم بن ابراهيم، مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة أُلقيت في فعاليات

الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بن الكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ الموافق 23/ 24

جوان 2010م .

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

لقد عرف الشيخ محمد الكبير بحرصه الشديد على نشر العلم وتبليغه خصوصا بين الناشئة إتباعا لمنهج السلف الصالح وتنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم "استودعوا العلم الأحداث إذا راضيتهموهم"¹، والشيخ لم يهدف إلى الكتابة والبناء والمتمثل في التأليف العلمي للأجيال المتعاقبة على حمل هذا الدين الحنيف²، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ييقون انتقال المبتطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين"³، وقد سعى الشيخ بكل عزم إلى دعم المذهب المالكي وجعله المرجعية الفقهية في الأرجاء التواتية، وقد ركز منهجه على تدريس التعليم القرآني ومنهج تدريس العلوم الشرعية، كما اعتمد في تدريسه على المجالس وغالبا ما تكون مجالس للعمامة وهذا الأخير يحضره كافة الأقطاف من رواد المسجد ومن أساتذة وتجار والعمال.. الخ؛ يعقد عادة بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء يتناول فيه الشيخ ما يحتاجه أفراد المجتمع على العقائد وحق العبادات والمعاملات المالية والاحوال الشخصية⁴.

أما المجلس الثاني يخصه لطلبة العلم المتفرغين للعلم يبدأ الشيخ الدرس في الضحوة وتارة بعد شروق الشمس وأداء صلاة الضحى إلى ما بعد منتصف النهار يوميا، ماعدا أيام العطل، كما كان الشيخ فقيها بمقاصد الشريعة وحكمها ومرونتها؛ فكان يوظف هذه المكانة العلمية فيما يحقق مصالح السائلين في دنياهم ويبلغهم

¹ - الشيخ الخطيب البغدادي، الجامع الاخلاق الراوي واداب السامع تحقيق، محمود الطاحي، مكتبة المعارف، ط2، 1982، المملكة العربية السعودية، ص265.

² - عبد الكريم الدباغي، مداخلة بعنوان جهود الشيخ الفقيه واثارها، الملتقى الوطني الاول، الشيخ سيدي محمد بن الكبير، تحت عنوان المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في ترسيخه، الجامعة الافريقية، ولاية ادرار يومي 11/10 رجب 1431هـ/ 24/23 جوان 2010م.

³ - ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير، ط1387هـ/ 1967م، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغرب، ص59.

⁴ - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوفيق على مهمات التعارف، تحقيق محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت لبنان، ص651.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

السعادة في آخرتهم، كما أن أهم ما يميز الشيخ هي المرونة التي كان يتمتع بها وقد سخر هذا في إيصال فقهه وإبقاء الناس على ما ألفوه وجرت به عاداتهم وأعرافهم ما وسعهم الشرع بذلك.¹ لذلك يعتبر الشيخ محمد الكبير أحد الشخصيات البارزة في إقليم توات بل والوطن الجزائري كله.

خاتمة:

وأخر ما يمكننا قوله إن الإنسان لا يعرف إلا بمقدار ما يقدمه إلى مجتمعه، أو ما يسهم به داخل هذا المجتمع من أعمال وأدوار ونشاطات، تعود بالفائدة على أفراد هذا المجتمع. ومن ثمة فقد ساهم الشيخ محمد بل كبير بالنفس والنفيس، من أجل بعث حياة أفضل في المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر به، وذلك من خلال تلك الإسهامات المتناسبة مع المسار الزمني لحياته؛ حيث كانت الانطلاقة في مرحلة الاستعمار الفرنسي ببناء المسجد الكبير الذي انبعثت من حلقاته أفكار النضال والمقاومة بل والحفاظ على مقدسات الأمة التي حاول المستعمر الفرنسي طمسها والقضاء عليها. حتى إن الشيخ قد جعل من الجهاد واجبا مقدسا يحتم عليه الوقوف إلى جانب الثورة التحريرية والمجاهدين، بل وتقديم الدعم المادي والمعنوي لأفراد جيش وجبهة التحرير الوطني.

أما في مرحلة ما بعد الاستقلال فقد واصل الشيخ واجبه الجهادي من أجل بناء مجتمع ملؤه الأخوة والمساواة، النابعين من روح الإسلام والعروبة، وذلك من خلال تلك الإصلاحات التي مست الجانبين

¹ - الشيخ الحاج سالم بن ابراهيم، مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة أقيمت في فعاليات الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ الموافق 23/24 جوان 2010م، عبد الكريم الباغي، مداخلة بعنوان جهود الشيخ الفقيه وأثرها الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير تحت عنوان المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في ترسيخه، الجامعة الإفريقية، أحمد دراية ولاية أدرار يومي 11/10 رجب 1431هـ/23-24 جوان 2010م.

"The Life of Sidi Sheikh Mohammed Al-Kabir and His Scholarly Status"

الديني والاجتماعي، والتي حاول الشيخ أن يجسدها في المجتمع التواتي لما كان يسوده من مفارقات ومخالفات تولدت عن الحقبة الاستدمارية.

وقد ركز الشيخ على الإصلاحات الاجتماعية لما لها من أهمية في بناء شخصية المجتمع وتربيته وتوجيهه، وهو الأمر الذي أكسبه إلى جانب حب الخاص والعام مكانة علمية مرموقة مشهود لها، تؤكد تلك المواقف والتشريفات التي نالها الشيخ في حياته، وحتى بعد مماته.